مصمم النصب التذكاري لثورة ١٤ تموز المجيدة

مرت قبل مدة ليست بالبعيدة الذكرى الثانية لوفاة الفنان العراقي الكبير المرحوم جواد سليم الذي صمم ونفذ نصب الثورة الضخم ، القائم في ساحة التحرير ببغداد . والواقع ان اهمية الدور الذي لعبه المرحوم جواد في تطوير الفن العراقي ليكون بمستوى ثورة ١٤ تموز الخالدة ، انما تتجلى في استلهامه الفن الشعبي العراقي ولتجاته ملامح الفولكلور العراقي ويتجلى ذلك بوضوح في نصب الثورة التذكاري ذاته الذي هو سجل ملحمة الشعب العراقي في كفاحه عن حقه في الحرية والحياة وكان تمثال جواد الشهير (السجين السياسي المجهول) التي فازت بالجائزة العالمية السادسة هي مبدأ الطلاقة شهرته كفنان عالمي مرموق .

لاول مرة منذ ستة وعشرين قرنا من تاريخ العراق الطويل يطلب الى فنان عراقي ان يعبر بمطلق الحرية عن رؤياه النبيلة في منحوتات شاهقة ، فيضع في البرونز ملحمة تمثل ثورة ١٤ تموز بجذورها العميقة في تاريخ الامة ، بجبروتها في الانطلاق ، وبسعيها الاكيد نحو حرية العراق وازدهاره وانتصاره .

فهذا النصب الكبير الذي نحته سليم ، يمثل الثورة بابعادها الشواهق ومعانيها الدارة ، ويحقق مزجا رائعا بين ثورة الشعب ونوازعه ، من جهة وبين فكرة الاسلوب العراقي المستقى من تربة هذا البلد العظيم وتقاليده ، من جهة اخرى .

ولذا فان لهذا النصب قيمة مزدوجة . انه يخلد ذكرى ثورة عظيمة معبرا عن معناها الشامل الدائم ، ومجسدا قوتها وموحيا لكل مشاهد ، وهو في الوقت نفسه عمل فني باهر يضاهي اعظم نصب في العالم قوة وتعبيرا ، ويجعل للفنان العراقي جواد سليم في هذا القرن اسما سيذكر ولاريب في عداد الخالدين من الفنانين .

وقد جعله الفنان في اربع عشرة مجموعة ، لكل منها فكرتها ، ولكنها تتصل الواحدة بالاخرى في الافريز الطويل ليعطي مجموعها المعنى السامي المعقد ، الذي يستقر في ذهن المشاهد كتجربة من التعب نسيانها .

وقد نظمت المجموعات على شكل بيت من الشعر العربي يقرأ من اليمين الى اليسار ، فهي تبدأ بالحصان الجامح ، رمز القوة والفحولة ، وقد لوى جيده نحو ما يليه من صور المأساة التي يعاني منها العراق ، وهذه تنتهي الى ثورة الجيش الانفجارية الجبارة في الوسط ، تتلوها الحرية وانما تريد التحليق في الاجواء ، ثم يتبعها الاستقرار والطمأنينة والخصب والرخاء .

ولابد من القول ان جواد سليم ، عندما طلب اليه [redacted] ان يقوم بنحت هذا النصب في اوائل عام ١٩٥٩ ، كانت قواه قد تكاملت اخيرا ونضجت ، واخذ يستشعر قدرته ويريد التعبير عما في اعماقه عاليا في انتظار اللحظة التي يتاح له فيها معالجة موضوع عظيم كهذا هو خليق به . وقد استمر في هذا العمل [redacted] عاما الطويل نحو

ايجاد فن عراقي حرفي ، وبذا يعبر عن الموضوع العراقي الملحمي باسلوب عراقي ، يجمع بين تقاليده العريقة وملامحه المعاصرة ، فنحته بالرموز العراقية والعربية ، واختار له النحت الناتئ ، لا النحت المجسم لان اعظم المنحوتات البابلية والاشورية والعربية كانت على هذا الغرار ، فالعبقرية الفنية في العراق منذ اقدم العصور حتى اواخر العصر العباسي عبرت عن نفسها بالنحت الناتئ والتخطيط والنقش المسطح ، بعكس الفنون الاوربية التي كانت دائما تسعى نحو التدوير والتجسم ، وبهذا جعل جواد سليم منحوتاته استمرارا للعبقرية العراقية .

وقد تم الانسجام الاسلوبي بينها وبين هندسة النصب نفسها التي صممها المهندس المعماري رفعت الجادرجي . فقد استلهم المهندس في تصميم الافريز بوابات العصور القديمة وخاصة الاشورية منها والبابلية فتوخى الضخامة والطول في الابعاد وقلة الخطوط والسطوح الهندسية فالافريز يربو على الخمسين مترا في الطول والعشرة امتار ارتفاعا فوق جدارين بارزين يحدانه على كل منهما ستة امتار - بحيث يشعر المشاهد ، ولا سيما اذا مر من تحت النصب ، كأنه يدخل بوابة شاهقة اشبه ببوابات العصور الاشورية والبابلية ، وهذا يوحي اليه بمشاركة مباشرة في المنحوتات نفسها ، رغم ضخامتها .

وفي التفاصيل حرك اكد عليها الفنان ، تعطي النصب المقام في اشد ساحات بغداد حركة ، وازدحاما ، مكانه الديناميكي من حياة المدينة . وقد تنأى في اكثره عن الواقعية ليؤكد على هذه الدينامية في الفكرة ، ولكي يطلق من الاشكال النحتية معانيها المطلقة والاكثر بعدا من الظاهر الواقعي . ففي هذه المنحوتات اقتصاد في التفاصيل للتشديد من قوة الايماء والتعبير - وهي القوة التي امتاز بها الفن العراقي عبر القرون .

يجب على المرء ان ينظر الى نموذج جواد سليم في الرسم والنحت ضمن اطار زمني لكي يدرك مدى انطلاقه وتوثبه . فهو يواكب التطور السياسي والقومي في العراق والاقطار العربية الاخرى على نحو قد لا يبدو للعين واضحا عند اول وهلة ، غير ان الاتصال بين الاثنين قائم ، ولعله يحتمه منطق تاريخي لا تستطيع الاحداث الانفلات منه بسهولة .

ولذا فان قيمة اعمال جواد سليم الفنية متعددة الاوجه ، فهي اولا قيمة مطلقة تثير الى ذهن فذ وخيال فذ ، وهي ثانيا قيمة تتصل بتراث الفن العربي القديم والفن العراقي الاقدم ، وهي ثالثا تتصل بالبحث النفسي الدائب في امة تستفيق فجأة فتريد ان تحقق ذاتها ، وتوطد قدمها في عالم اليوم .

وهذه الاوجه الثلاث متصلة مترابطة ، وهي في النهاية ، عندما (يجد) الفنان نفسه اخر الامر ، تتحد في عمل فني باهر ، عمل فني ضخم نقف ازاءه ما خوذين بتعقيده . وهذا العمل هو (نصب ١٤ تموز) الذي قضى جواد سليم اخر سنتين من عمره في تصميمه وانجازه ، وداهمه الموت فاجعا مأسويا قبل ان يراه ينصب فهكانه وهو في الثانية والاربعين من عمره .

ولد جواد سليم في عام ١٩١٩ ، وتلقى علومه المدرسية في بغداد ، ودرس الفن في باريس وروما ولندن .

عمل مدة من الزمن في ترميم الماثيل القديمة في المتحف العراقي ، وعلى

وكان استاذ النحت في معهد الفنون الجميلة لسنين عديدة ، حيث كان له اثر عميق في الكثيرين من الرسامين والنحاتين الذين تخرجوا من المعهد .

غير ان اثره الاكبر كان في تطوير الحركة الفنية في العراق بما انتج من رسم ونحت ان فيهما يبحث دائما عن اسلوب عراقي ، وبما تزخر من فئات الفنانين الذين كان يلهمهم برأيه وشخصيته .

وحين طلب اليه [redacted] ان يصنع نصب ١٤ تموزه اولاه عنايته واعطاه كامل الحرية في ان يعبر عن الثورة كيفما شاء . وقد انجز جواد تصاميم النصب بتمثاله ثم ذهب الى فلورنسة لنحتها وسبكها بالبرونز ، وكانت المعجزة ان استطاع ان ينهي هذا العمل كله ، وهو من اضخم الاعمال الفنية في العالم ، في اقل من سنتين .

وقد وافاه الاجل بعد عودته الى بغداد باشهر قلائل مساء ٢٢ كانون الثاني عام ١٩٦١ .